الفصل الثامن

الشخصية

الفصل الثامـــن

الشخصيـة

بعد أن تعرفنا على الدوافع الإنسانية، وما يتبعها من سلوك وأفعال بوجهيها الحسن والسيئ، يمكننا أن نحكم على شخصيتنا، وعلى شخصيات الغير على حسب القدرة على التحكم في نوازعنا الفطرية، ومدى نجاحنا في تهذيب سلوكنا بإشباع الغرائز بالطرق المشروعة كما أمرنا الله عز وجل، بما فيه رضاءه عنّا سيراً على نهج النبي ﷺ.

وذلك هو محور حقوق الإنسان النفسية، فما من سلوك نقوم به إلا وله أثره على الفرد نفسه، وعلى أسرته؛ ومن ثم على المجتمع ككل، وطالما أن العالم الآن أصبح كالقرية الصغيرة، ليست فيها حدود بين البشر، فقد ينسحب هذا الأثر على المجتمع الدولي، فما نراه من حروب ودمار من أجل مصالح دنيوية فارغة، وما نشهده من أمراض مجتمعية خطيرة، يؤكد لنا أن التنشئة الاجتماعية، وطبيعة التعليم، وما يتم زرعه في نفوس الناس، والانفلات في إشباع الغرائز والنوازع الفطرية دون وازع ديني أو أخلاقي، لكلها أمور تقف وراء ما نحن فيه من صالح الحال، أو سوئه.

لذا كان لزاماً علينا قبل أن نقدم مفاهيم وتعريفات الشخصية، وأيضاً قبل أن نقدم موضوعنا عن حقوق الإنسان النفسية، أن نتعرض للدوافع والانفعالات الإنسانية من وجهة نظر الدين الإسلامي، وأيضاً من وجهة نظر علم النفس بحكم تناوله للنفس البشرية، وتفسير مكوناتها الفطرية والمكتسبة، والتي تمثل مجموعة من الخطوط تشكل في النهاية صورة متكاملة تسمى في النهاية (الشخصية).

وما يؤكد ذلك؛ أنه عند تصنيف المعاني الشائعة للشخصية، وهى معاني كثيرة، كانت المجموعة الأولى من هذه التصنيفات، تدور حول قدرة الفرد على إثارة الاستجابات من قِبَل من حوله من الأشخاص المحيطين به، والذين يتعاملون معه في ظروف نفسية مختلفة، وأوقات متباينة، وحينها يمكن لهم أن يحكموا على الفرد بأنه صاحب شخصية جذابة، أو قوية، أو غامضة...الخ.

أما المجموعة الثانية فلا تختلف كثيرا عن التصنيف الأول لمعاني الشخصية، فهي تدور حول الانطباعات التي يتركها كل منّا في الآخرين، وتكون الأكثر تميزاً، مما يساعد على بقائها فترة من الزمن، ويمكن أن تتغير، بتغير الانطباعات الجديدة عن الفرد والتي يتركها في نفوس الناس، فهذه المعاني من سماتها إثارة الجدل بينهم حول الشخصية ومعناها، وذلك لتباين وجهات النظر فيما بينهم، وتلعب القيم والأخلاقيات دورها في هذا الجدل، فما تراه أنت صالحاً قد يراه غيرك مدعياً، أو فاسداً، يختبئ وراء عباءة الصلاح، وكما أن كل إناء ينضح بما فيه، تكون الآراء حول الشخصية تبعاً لأخلاقيات الفرد وما اكتسبه من ثقافة مجتمعه الذي يعيش فيه، مما يفسر لنا هلامية تحديد وتعريف المجتمع المثالي الصالح لحياة الفرد، والذي يتشكل حسب مفاهيم ذلك المجتمع الذي يعيش فيه، بدايةً من الأسرة والحي والمدينة، ونهاية بالمجتمع ككل عن الأخلاق والدين والقيم، فمجتمع اللصوص مثلا القيمة الإنسانية والمكانة العالية فيه للص الماهر، وهذا المجتمع ينشا فيه الطفل نشأة تقوم على مفاهيم السلب والنهب، ويكون الفرد صاحب القيم والمباديء والتدين منبوذا فيه، اذن فمجتمع اللصوص هو المجتمع المثالي بالنسبة للص، السرقة فيه أمر

عادى، بل ومطلوب!.فمن الأمور التي تغيب عن بالنا عند مناقشة أسباب فساد إنسان، هو الأمر الذي يتعلق بقابليته لهذا الفساد دون أن يردعه دين أو ضمير.

وعلى العموم "توصف شخصية الفرد بالصفة التي تكون أكثر تمييزاً له، والتي تعبر عن أهم انطباع تتركه شخصيته في الآخرين، ومن الواضح أن هذين الإستخدامين الشائعين لمعني الشخصية؛ إنما يتضمنان عنصر التقييم، فتوصف شخصيات الأفراد عادة بأنها حسنة أو قبيحة.

وقد أستخدمت كلمة الشخصية أيضاً بمعانٍ كثيرة مختلفة بين الكتاب، ورجال الدين، والفلاسفة، ورجال القانون، وعلماء الاجتماع، وعلماء النفس. وقد قام (ألبورت Allport) بمراجعة الأبحاث المختلفة التي تتعلق بالشخصية، واستطاع أن يستخلص منها حوالي خمسين تعريفاً للشخصية، ومن الممكن تصنيف هذه التعريفات المختلفة للشخصية، على أساس المعاني الرئيسية التي تتضمنها هذه التعريفات إلى السبع التالية:

1- الشخصية كمثير أو منبه:

هذا النوع من تعريف الشخصية يقرب كثيراً جداً من المعنى الشائع الاستخدام لكلمة الشخصية بين عامة الناس، وهو المعني الذي سبق أن أشرنا إليه، ويذهب القائلون بهذا التعريف إلى أن الوسيلة الوحيدة الممكنة لمعرفة الشخصية وتقييمها، في تأثيرها في الأفراد الآخرين. وإذا سلمنا بذلك لأصبحت للفرد الواحد عدة شخصيات تبعاً لأنواع التأثيرات المختلفة التي يتركها الفرد في الأفراد الآخرين، وفي الظروف المختلفة، ومع أن دراسة الشخصية تقتضى في كثير من الحالات معرفة آراء الآخرين عن صاحبها، إلا أن ذلك لا يعتبر الوسيلة الوحيدة لدراسة الشخصية. فللفرد صفات وسمات خاصة مستقلة عن ملاحظات الآخرين وآرائهم – مما يؤدى إلى جدلهم واتهام الفرد بأنه صاحب شخصية غامضة، أو وصف شخصيته بصفات ليست موجودة بالفعل –.

2- التعريفات الجامعة:

من التعريفات التي كانت شائعة سابقاً بين علماء النفس، وهى تعرف الشخصية بأنها: مجموعة أنواع النشاط والدوافع والميول والسمات والعادات المختلفة للفرد... الخ، وتحاول مثل هذه التعريفات أن تتضمن جميع أنواع النشاط الرئيسية التي تكون لها أهمية في وصف الفرد، ومن أمثلتها تعريف (برنس Prince) للشخصية بأنها: المجموع الكلى لجميع الاستعدادات الفطرية البيولوجية، والدوافع، والميول، والشهوات والغرائز عند الفرد، وكذلك استعداداته المكتسبة وميوله التي اكتسبها بالخبرة.

وقد لقيت التعريفات الجامعة معارضة شديدة من علماء النفس من (مدرسة الجشطالت)، الذين يرفضون فكرة أن الفرد، أو أي ناحية من نواحي نشاطه؛ إنما هو مجرد مجموعة أجزاء.

3- التعريفات التكاملية:

تؤكد التعريفات التكاملية فكرة التنظيم بين أجزاء، أو عناصر الشخصية. فالشخصية شيء أكثر من مجرد مجموع أجزائها، إنها نموذج تنظيم هذه الأجزاء، ومن الأمثلة البسيطة لهذه التعريفات: التعريف الذي ذكره (وارن Warren) و (كار مايكل Carmaichael) وهو: أن الشخصية هي التنظيم الكامل للإنسان في أية مرحلة من مراحل نموه، وقد ذكر (وارن) في قاموس علم النفس تعريفاً من هذا النوع أكثر تفصيلاً وهو: الشخصية هي التنظيم المتكامل لجميع الخصائص المعرفية والوجدانية والإرادية والبدنية للفرد؛ من حيث هو متميز عن غيره من الأفراد، ويلاحظ أن هذا التعريف يؤكد أيضاً في آخره فكرة الفردية والتميز، وهي فكرة شائعة في كثير من تعريفات الشخصية.

4- التعريفات الكلية:

تغالي التعريفات الكلية في فكرة التنظيم بين عناصر الشخصية؛ بحيث تكاد

تغفل الإشارة إلى هذه العناصر كلية، ومن أمثلة هذه التعريفات، تعريفات وردت في قاموس علم النفس لـ (وارن)، يذهب التعريف الأول إلى أن الشخصية هي الخاصية العامة، أو النموذج العام للسلوك الكلي للفرد.

ويذهب التعريف الثاني إلى أن الشخصية في خاصية مجال السلوك الكلي للفرد، أو شكل نموذج هذا السلوك. وينتقد (جيلفورد Guilford) مثل هذه التعريفات الكلية، ويرى أنها تجعل من الصعب تحليل الشخصية؛ وبالتالي تجعل من الصعب تكوين علم للشخصية.

5- التعريفات التي تؤكد التوافق:

من التعريفات الشائعة للسلوك، هو أنه توافق الفرد بالنسبة لبيئته، وعلى هذا الأساس تعتبر الشخصية نموذج للتوافق الخاص للفرد. وتميل بعض التعريفات في هذه المجموعة إلى قصر التوافق على التوافق الاجتماعي، ومن أمثلته ما ورد في قاموس علم النفس لـ (وارن)، وهو: الشخصية هي خصائص الفرد الأكثر أهمية في تحديد توافقه الاجتماعي.

غير أن الاقتصار على التوافق الاجتماعي فقط في تعريف الشخصية، يحدد معني الشخصية تحديداً غير مقبول من كثير من علماء النفس.

6- التعريفات التي تؤكد الفردية:

تؤكد بعض تعريفات الشخصية صفة الفردية والتميز في سلوك الفرد. فالشخصية بهذا المعني، هي تلك النواحي من سلوكه التي تميزه عن غيره من الأفراد، وفي هذا المعني يقول (شيوين Schoen): إذا كان جميع الأفراد في أي مجتمع يتصرفون بطريقة واحدة، ويفكرون تفكيراً متشابهاً، ويشعرون شعوراً متشابهاً لما أصبح للشخصية من وجود، وعلى هذا الأساس يعرف (شيوين) الشخصية بأنها: الجهاز المتكامل أو الكل أو الوحدة الوظيفية للعادات والاستعدادات والعواطف التي تميز أي فرد من

الجماعة، باعتباره مختلفاً عن أي فرد آخر من نفس الجماعة، ومن أمثلة التعريفات التي تؤكد الفردية أيضاً تعريف (جيلفورد) للشخصية بأنها: النموذج الفريد لسمات الفرد.

7- التعريفات المتعددة العوامل:

ويعرف بعض علماء النفس الشخصية على أساس أكثر من عامل واحد من العوامل التي وردت في التعريفات السابقة. فتعريف (شيوين) مثلاً الذي ذكرناه في المجموعة السادسة يتضمن الفردية والتنظيم، وكذلك تعريف (وارن) في المجموعة الثالثة يتضمن الفردية والتكامل، ومن التعريفات المشهورة للشخصية التي تؤكد أهمية أكثر من عامل، تعريف (ألبورت)، وهو: أن الشخصية هي التنظيم الديناميكي الذي يكمن داخل الفرد لتلك الأجهزة الجسمية النفسية، التي تعيّن طابعه الفريد في التوافق مع بيئته، ويري سول روزنزفايج Saul Rosenzweig: أن تعريف الشخصية يتضمن على الأقل معنيين رئيسيين هما: التكامل والفردية. فالشخصية ترجع دائماً، من ناحية إلى نشاط الفرد بأكمله، ومن ناحية أخرى، إلى تلك النواحي من التكامل التي تميز أي فرد عن غيره من الأفراد.

والسؤال هنا: هل يمكن تقديم تعريف واحد للشخصية؟

الحقيقة أنه لا يمكن وضع تعريف واحد للشخصية يكون جامعاً مانعاً، فالتعريف عادة يتوقف على مدى وجهة نظرة الباحث، والنظرية التفسيرية التي يؤمن بها في تفسير شخصية الفرد، فإذا كانت فكرته مثلاً قائمة على تفرد الشخصية، أو على مدى توافقها مع البيئة المحيطة بها، خرج تعريفه ليؤكد به نظريته، وإن كنا نميل إلى التعريف الذي يقول بأن الشخصية في:

اصطلاح فقط يشير إلى الأوصاف والسمات التي تستخدم في وصف الفرد. (نجاتى، 1964)

الشخصية في القرآن الكريم:

لا شك أن العلم مهما بلغت دقته، إلا أنه في كثير من الأحيان يعجز عن فهم بعض الأمور وتفسيرها تفسيراً دقيقاً، مما يفرض علينا الرجوع إلى القرآن للتعرف على الشخصية تعرفاً دقيقاً.

لقد أهتم القرآن الكريم بالشخصية وذكرها في أكثر من موضع، على اختلاف أنواعها، فضلاً عن ذكر مكونات الشخصية والمؤثرات البيئية من حولها، والتي تتشكل على أساسها، وهذا ما ذكره العلم فيما بعد، إلا أنه لم يصل في النهاية إلى تعريف واحد للشخصية كما رأينا سابقاً، وهذا طبيعي لاختلاف مكونات الشخصية، والمؤثرات التي تتشكل على أساسها، نضف إلى ذلك أن العلماء أغفلوا الجانب الروحي داخل الإنسان واهتموا بالجانب المادي، رغم أن الإنسان خلق من مادة وروح كما سنرى فيما بعد.

وقد جاء في القرآن الكريم وصف للشخصية الإنسانية وسماتها العامة، التي يتميز بها الإنسان عن غيره من مخلوقات الله، كما جاء فيه أيضاً وصف لبعض الأنماط أو النماذج العامة للشخصية الإنسانية التي تتميز ببعض السمات الرئيسية، وهي أنماط عامة وشائعة نكاد نراها حتى اليوم في مجتمعنا، وفي جميع المجتمعات الإنسانية بعامة ـ مما يؤكد على عالمية الإسلام، وأنه أرسل للناس كافة، وأنه دستور عمل وحياة في كل وقت وفى كل مكان ـ، ونجد في القرآن أيضاً وصفاً للشخصية السوية، والشخصية غير السوية، ووصفاً للعوامل المكونة لكل من السواء وعدم السواء في الشخصية. نجاتى (1982)

وقد بدأ القرآن بالحديث عن الإنسان بدءً من تكوينه، يقول تعالي:

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ص: 71-72]

ويقول: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾. [الحجر: 28-29]

قال (ابن عباس): المراد بالصلصال، التراب اليابس، كقوله تعالي (خلق الإنسان من صلصال كالفخار)، وعن مجاهد: (الصلصال) المنتن، وقوله (من حمأ مسنون)، أي الصلصال من حمأ وهو الطين، والمسنون الأملس، وروي (عن ابن عباس) أنه قال: هو التراب الرطب، وأيضاً عن (ابن عباس) و(مجاهد): أن الحمأ المسنون هو المنتن، وقيل المصبوب.ابن كثير (د.ت: ص311)

وهذا هو الجانب المادي في تكوين الإنسان، خلق من تراب - خليط من التراب والماء -، وهو في ذلك مثل كل المخلوقات، إلا أن الإنسان تميز عن سائر المخلوقات بالروح (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)، وهى من أسرار المولى عز وجل التي لم يطلع، ولن يطلع عليها أحد، كما أخبرنا المولى عز وجل في الآية 85 من سورة الإسراء: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾، كما يفسر لنا فطرية التدين في الإنسان، فالروح دائماً تحتاج إلى الارتكان إلى المولى عز وجل، فهي من روحه سبحانه وتعالى، يظهر احتياجها في كل أزمة، تمر بالإنسان، وكل أمر صعب لا يستطيع الإنسان اجتيازه وكما ذكرنا سابقاً أنه حتى من أشرك بالله، وعبد غيره على الأرض، هو في حاجة إلى الله إلا أن قلة وعيه وإدراكه، والعوامل المحيطة به من نشأة قد أعمته عن معرفة الحقيقة، وعن عبادة الله الواحد دون أن يراه، لكنهم في النهاية اعترفوا بوجود الله. تلك هي قيمة الروح، والقيمة ليست تعريفاً لها، فالروح من أمر الله عز وجل لا يعلم أسرارها إلا هو.

الصراع النفسي في الإنسان:

والمقصود هنا؛ الصراع بين مكوني الإنسان المادي والروحي، فالحاجات الفسيولوجية قد تصطدم والحاجات الروحية، والتي هي سبيل الإيمان في ظروف معينة، كأن يكون الصراع مثلاً بين إشباع حاجاتنا بالحرام، وبين موانع الدين الذي آمنا به، وارتضينا ما فيه من تشريعات.

ويمكن أن ينظر إلى الصراع على أنه صنف من الإحباط، الصنف الذي يتميز

بالرغبة في اتخاذ اتجاهين في نفس الوقت، والعقبات التي يواجهها المرء هنا ليست كتلاً صخرية، بل خطاطيف تجذب للوراء كلما تقدم المرء إلى الأمام، ومواقف الصراع هي مواقف اتخاذ قرار، وهذه أكثر من أي نوع آخر من المواقف السيكولوجية - تنطوي على تقلب انفعالي كبير، وما يتضمنه هذا التقلب عادة من سلوك لا عقلي.

وتظهر الصراعات في كافة مستويات الشخصية، وفي كل درجات اهتمام الشخص، وبعضها بسيط، وإن كان وجود الصراع كثيراً ما يتبدى في صورة ميل للتردد، قبل أن يتم الاختيار.

كما أن بعض مواقف الصراع تنطوي على حاجات أساسية هامة يظهر أنه لا مفر من معارضتها - فتغليب الجانب الروحي فيها يتطلب جهداً كبيراً من الإنسان -،وبعضها الآخر يتضمن حاجات غير ذات أهمية نسبياً، أو حاجات ذات إمكانيات استبدال كثيرة؛ بحيث يصعب علينا إدراك وجودها.

ويمكن لنا أن نسوق مثلاً للصراع بين إحدى حاجاتنا الفسيولوجية، وبين ما يعارضها: هب أنني صنعت قفصاً كبيراً ووضعتك فيه؛ ثم هب أنك عشت فيه زمناً طويلاً وتعودت عليه فهو منزلك، الحياة فيه ثقيلة ولا تحتمل، ولك فيه فراش لا بأس به والطعام جيد. إلا أن ثمة شيء غريب بالنسبة للطعام. فعلى المائدة الموضوعة في ركن من القفص يوجد صندوق، وللصندوق غطاء، وعندما تجوع ترفع الغطاء وتجد في الداخل وجبة شهية، وهكذا كلما جعت، وبعد أن تأكل تذهب إلى فراشك ثم تستسلم للنوم.

وذات يوم يحدث شيء ما، فعندما تجوع تذهب للصندوق كالمعتاد، ولا تكاد أصابعك تلمسه، حتى تصاب بصدمة كهربائية قوية، فتتراجع عن القفص، وتدلك يديك، وتفكر في الأمر لحظة - وهذا ما يعرف ببداية الصراع، وتقرر أن الكهرباء لابد أنها متقطعة - استاتيكية - فتقوم لتحاول ثانية، فتصاب ويضايقك هذا بعض

الشيء، فتبدأ بالبحث عن سبب الكهرباء لتنتزعه، أو تبحث عن قفازات من المطاط، لكنك لا تجد شيئاً يساعدك على هذه المهمة، وطبيعي أنك حتى هذه اللحظة لست على درجة من الجوع الشديد بعد - مما يعطي مساحة من التفكير والتدبر-.

إلا أنك فيما بعد تصبح أكثر جوعاً، فتذهب من جديد، وتلمس الغطاء فتجد الصدمة قد صارت أشد، وإزاء الأذى المحقق تسقط الغطاء عجلة، وتعاود الجلوس لتفكر، وبعد فترة وأنت على جوعك تبدأ في الثورة والهياج، وتبدأ في البحث عن مخرج من هذا القفص الشيء الذي لم تحاوله منذ أول يوم لوجودك فيه، وقد تحاول أن تنتزع القضبان، أو أن تكسر القفل، ولكن بدون فائدة، ولكنك لا تزال تحاول الوصول إلى داخله، واختطاف شيء منه قبل أن يسقط الغطاء ذاتياً؛ ثم تأكل قطعة الطعام، وترتد إلى فراشك لتفكر في الأمر من جديد، وكلما ازددت جوعاً بدا أن الصدمة تزداد قوة، وكلما اقتربت من الصندوق تستطيع أن تحس مقدماً بألم الصدمة التي سوف تعانيها عندما تلمسه، والصراع هنا صراع بالغ بين حاجتك للطعام، وبين الحاجة لتجنب الألم، وليس ثمة مهرب من الموقف كما أن الحاجة تزداد في شدتها مع الزمن. فما الذي يحدث إذن؟. - ربما تصير إلى حالة من الجنون -.(ليافيت، (د.ت)

هذا المثال ينطبق على الكثير من الصراعات النفسية داخل الإنسان بين الجانب المادي، وبين الجانب الروحي مع الاختلاف في الشكل وربما في النتائج. فالحاجة المادية قد تتغلب في بعض الأحيان على الجانب الروحي، أو العكس. حسب الأهمية وحسب قدرة الإنسان على التحمل أو معرفة البدائل، وحين عجزه يتغلب الجانب المادي مما يفسر في مجتمعاتنا الجرائم التي نندهش لها لعدم معقوليتها، ولكن بالبحث قد نجد وراءها أسباباً كثيرة منها ما يتعلق بحاجات الإنسان الطبيعية، ومنها أسباب اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، أو كل هذا وذاك. فليس غريباً أن نجد من يسرق ليتزوج، أو من يقتل صديقه لسبب تافه، أو غيره لمجرد حاجته إلى إثبات

الذات حسب ما فرضه مجتمعه من قيم مختلة عن مفهوم الشخصية أو ـ الرجولة ـ!، وكم من الجرائم ترتكب بمباركة الصراع النفسي بين الحاجات المادية، وبين الحاجات الروحية، أو بين الجسم والروح.

ويشير القرآن الكريم في "سورة النازعات" إلى أنواع من الصراعات النفسية منها قوله تعالي:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾. [النازعات: 37-41]

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾. [القصص: 79-80]

من آيتي سورة القصص؛ يتبين لنا الصراع النفسي بين الجانب المادي، وبين الجانب الروحي، والعلاقة التبادلية بينهما، ففي الآية (79) يطغي الجانب المادي على الجانب الروحي في تمني الناس ما يملكه قارون من ثروة، وذلك لأنهم يريدون الحياة الدنيا فقط (قال الذين يريدون الحياة الدنيا..)، فلا مكان هنا للجانب الروحي، فالجانب المادي وحده فقط هو الذي يتحدث، وعلى النقيض هناك من أدرك بإيمانه وبعلمه أن ثواب الله خير (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير.. لمن؟)، لمن استطاعوا أن يسيروا مع ما دلهم عليه الجانب الروحي، فكان لهم الإيمان ومنه كان العمل الصالح: (لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلاّ الصابرون)، وتوضح الآية (11) من سورة الجمعة، صورة أخرى من صور ذلك الصراع بين الجانبين المادي والروحي:

﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾. [الجمعة: 11]

وليس مطلوباً من الإنسان أن يغلب جانب من الجانبين على الآخر، يسير معه

ويهمل الثاني، فوظيفة الإنسان أن يوازن بين الجانبين بالقدر الذي لا يجعله خاسراً لآخرته ولدينه، والآخرة قبل الأولى لأسباب كثيرة أولها وأهمها قوله تعالي في الآية (56) من سورة الذاريات: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، والعبادة في الدنيا هي طريق الجنة في الآخرة، فالله سبحانه وتعالي لم يخلق الغرائز والدوافع في الإنسان ليشقيه بها، بل خلقها لسعادته الآتية من راحته، بإشباع تلك الحاجات المادية بالطرق التي حددها المولي عز وجل. فالآخرة علينا السعي للفوز بها من خلال طاعة الله سبحانه وتعالي، والأخذ بما جاء به نبيه الكريم ﷺ، والدنيا أيضاً علينا فيها بالسعي حتى نستطيع أن نسيّرها بالشكل الذي فيه سعادتنا، ولا يخالف ما جاء به الدين. يقول المولي عز وجل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾. [المنافقون: آية 9]

ويقول: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ ﴾.[التغابن: 15]

ويقول: ﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ١٣ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ ﴾. [الأعلى: 9-17]

ويقول: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ﴾ . [الملك: 2]

﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠ ﴾. [البلد: 10]

والحقيقة أنه باستطاعة الإنسان أن يحسم الصراع بقليل من التوافق النفسي والتفكير السليم، وتحليل الأمور، وطلب العلم في الدين من أهل العلم حتى يتبين له حكمة المولي عز وجل في كافة الفروق بين البشر، وأن يقلب الأمور على كافة وجوهها الحسن منها، والسئ حتى يخرج في النهاية بالحقيقة التي يرتاح إليها ضميره؛ وهو المقصود باستفتاء القلب في الأخذ بالأمور التي يُختلف حولها من ناحية الحلال

والحرام، فيما يعرف بالأمور المتشابهات. وقد حدد القرآن الكريم مسئولية الإنسان في ذلك؛ وعلى هذه المسئولية يحاسب الإنسان ويلقي جزاءه: إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر.

وجدير بالذكر أن المولى عز وجل لم يحدد المسئولية ويلقيها على عاتق الإنسان، إلا وهو يعلم أن الإنسان باستطاعته القيام بتلك المسئولية، لما ميّزه به عن سائر المخلوقات وهو العقل، يقول المولى عز وجل: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾.

ويقول: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾. [الإنسان: 3]

ويقول: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾. [الشمس: 7-10]

ويقول: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾. [الأنعام: 104]

ويقول: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾. [الكهف: 29]

ويقول: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت: 46]

وغير ذلك من الآيات التي تؤكد تلك الحقائق، وأهمها العقل، فقد شبه المولى عز وجل الإنسان عند إهماله العقل وإتباعه شهواته دون تهذيب، والسير وراء دنيته بالقدر الذي أنساه خالقه ورازقه، والحساب في الآخرة بالبهائم:

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾. [الفرقان: 43-44]

فلا تكفي هيئة الإنسان كدليل على إنسانيته، أو على وجود العقل، أو على استخدامه الاستخدام الأمثل، فكم من هم على هيئة البشر لا يفقهون ما يسمعون ولا يعقلونه، فقد انشغلوا عن التفكير تحت وطأة اللذة والمتعة الحسية الناتجة عن إشباع حاجاتهم بأي طريق كان ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾، بل حط القرآن من قيمة هؤلاء نتيجة فعلتهم ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.

ومن الأشياء التي لها دور هام في توجيه الصراع داخل الإنسان: (النفس)، وقد ذكرها المولي في أكثر من آية بينت تأثيرها، وأنواعها، ما بين النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة. يقول تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾. [القيامة: 1-2]

والنفس اللوامة:

هي التي تلوم صاحبها على ما اقترفه من معاصي وذنوب، فهي الضمير الذي يعبر عن مرحلة إنسانية أرقى من النفس الأمارة بالسوء، والتي لا تشعر باللوم أو بالعتاب على ما فعلته، فالنفس اللوامة قد تكون أولى خطوات النفس المطمئنة التي قال عنها المولي عز وجل: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾. [الفجر: 27-30]

ومما يؤكد إعجاز القرآن الكريم وسبقه للعلماء في ذكر الحقائق التي توصلوا إليها بعد القرآن الكريم بمئات القرون، ما ذكره القرآن قبل علم النفس من أنواع للنفس البشرية، وما ذكره علماء النفس فيما بعد عن نفس الموضوع، وقد تحدثنا عن ذلك سابقاً عند التعرض لموضوع (الإسلام وعلم النفس)، فقد قسم علماء النفس البشرية إلى ثلاثة أقسام: الهو ويقابل النفس الأمارة بالسوء، والأنا الأعلى: ويقابل النفس اللوامة، والأنا: وتقابل حالة النفس المطمئنة.

الشخصية السوية:

يتبين لنا مما تقدم أن الشخصية السوية في الإسلام، هي الشخصية التي يتوازن فيها البدن والروح، وتشبع فيها حاجاتهما معاً، فالشخصية السوية في التي تعني بالبدن وصحته وقوته، وتشبع حاجاته في الحدود التي رسمها الشرع، والتي تتمسك في نفس الوقت بالإيمان بالله، وتؤدي العبادات، وتقوم بكل ما يرضي الله تعالي وتتجنب كل ما يغضبه.

فالشخص الذي ينساق وراء أهوائه وشهواته شخص غير سوى، وكذلك فإن الشخص الذي يكبت حاجاته البدنية ويقهر جسمه ويضعفه بالرهبانية المفرطة والتقشف الشديد، وينزع إلى إشباع حاجاته وأشواقه الروحية فقط، هو أيضاً شخص غير سوى، وذلك لأن كلاً من هذين الاتجاهين المتطرفين يخالف الطبيعة الإنسانية، ويعارض فطرتها، ولذلك فلا يمكن أن يؤدي أي من هذين الاتجاهين إلى تحقيق ذاتية الإنسان الحقيقية، كما لا يمكن أن يؤدى بها إلى بلوغها الكمال الحقيقي. نجاتى (1982)

إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الغرائز في الإنسان ليشقيه بها، بل ليستخدمها في إسعاد نفسه عن طريق إشباعها بما أحله الله له، والدور الذي يجب على الإنسان القيام به لتحقيق الهدف المرجو من تلك الغرائز سواء على المستوى العام، كما هو الحال بالنسبة لغريزة الجنس وهو إعمار الأرض، أو على المستوي الخاص، وهو حفظ الذات وتحقيق التوازن النفسي الذي يحقق بدوره السعادة للإنسان، هو التهذيب لتلك الغرائز بما يتفق مع ما جاءت به الشريعة الإسلامية.

التوازن في الشخصية:

لقد صاغ فرويد المبدأ الشهير؛ بأن الشخص الطبيعي هو الذي تكون له القدرة على الحب والعمل، كان فرويد يتحدث عن قدرة الفرد على الارتباط الإنساني، والانتماء للآخرين في السياقين العاطفي والاجتماعي، ويقترح المحلل النفسي

(روبن فاين) أن الرجل يشعر بالسعادة إذا استطاع أن يحب بدل الكراهية، وأن يحقق المتعة والإشباع الجنسي، وأن تكون لديه حياة من المشاعر التى يحكمها العقل، وكذلك الدور الفعال في الأسرة والإحساس بالهوية، ويستطيع العمل والإبداع، وأن يكون له دور في النظام الاجتماعي، ويكون قادراً على التواصل، وخالياً بدرجة معقولة من الأمراض النفسية.

وهذا ما يؤكد على أهمية الصحة النفسية للطفل الناشئ، والتي ترتبط بمدى ملائمة استجابات الأم لشعوره المتناقض بالعجز والإحساس المتضخم بالذات، ودرجة التشجيع والإحباط التي يشعر بها الطفل عندما ينضج، ويبدأ في التعرف على حدود شخصيته، والتي لها تأثير دائم على إدراكه لنفسه وللآخرين، وعلى العلاقات التي يكونها طوال حياته. وأي اضطراب للتوازن بين شعورهم بالعجز، وبين درجة التربية الحمائية التي يتلقونها من آبائهم يشعرهم بالحرج النفسي، والدرجة غير الملائمة من الإحباط الناشئ عن بيئتهم المحيطة، وعن تعاملهم أو عجزهم عن التكيف مع النظام القائم تغذى شعورهم الطبيعي بالعجز، ويستجيبون عادةً بالغضب والرغبة في الانتقام، وفى اكتساب القدرة الشخصية، وكذلك بالخيالات التعويضية في امتلاك القدرة المطلقة، وهذه الآلية تستمر طوال العمر، وإذا لم تحل داخل الأفراد أثناء نضجهم، قد تعود بشكل مدمر عندما يتولى هؤلاء الأفراد مواقع القيادة.

لذا.. فإن على المؤسسات أن توازن في العلاقة بين القادة والتابعين، وللأسف يكون التوازن ضعيفاً مع تقلبات القدرة التي تملأ الحياة المؤسساتية، ويكون من السهل خسران هذا التوازن تماماً، والاستخدام المتعقل للقدرة ضروري لخلق الأهداف المشتركة، وإعطاء معنى الحياة المؤسساتية، لكن الفشل في التعرف على الطبيعة المزدوجة للقدرة؛ أي إمكانية استخدامها بشكل بناء أو هدام، قد يؤثر في تمكن الشخص من إدراك الواقع، وعندما يضيع الإحساس بالتوازن تحتل الألعاب والحيل السياسية بؤرة الاهتمام في المنظمة.(مانفرد، 2006)

لكي تتحقق الشخصية السوية كما ذكرنا، يجب أن نحقق أولاً التوازن بين حاجات البدن، وحاجات الروح أو (الدنيا والدين)، فلا انفصال بينهم، بل ترابط بين المطالب البدنية كإشباع الجوع مثلاً، وبين الطاقة الناتجة عن الطعام، والمتاحة لمقابلة هذه المطالب، وهو ما يعرف بالاتزان البدني، تماماً مثل الاتزان بين مطالب البدن، ومطالب الروح.

فالإسلام لا يعرف الرهبنة، والله عز وجل خلق الحياة للإنسان يعبده فيها ويعمرها ويتمتع بها في حدود الحلال الطيب، وخلق الآخرة للإنسان ينعم بنعيمها ويشقي بعذاب نارها حسب ما فعله في الدنيا، وهذا الارتباط يتضح لنا أكثر إذا نظرنا إلى الدنيا كطريق أو معبر للآخرة.

إن التوازن الشخصي ينتج عن توافق الإنسان مع نفسه، والتوافق يتضمن خفض التوتر الذي تستثيره الحاجات، فمن الخطر اعتبار التوافق مرضياً، وأن جميع ما نقوم به من سلوك ما هو إلا محاولة ناجحة، أو فاشلة لخفض التوتر وتحقيق التوافق المطلوب، (طه، 1983: ص34) فاجتهاد الإنسان هنا يتمثل في إشباع حاجاته، دون التورط في مخالفة دينية تزيد من توتره وقلقه، بدرجة تفوق درجة التوتر والقلق الناتج عن نداء حاجاته الإنسانية غير المشبعة.

وقد وضع العلماء أربعة مقاييس للتوافق، وهى:

1- التوافق المنزلي.
2- التوافق الصحي.
3- التوافق الاجتماعي.
4- التوافق الانفعالي.

وقد توصل العلماء إلى أن هناك ثمة علاقة بين تقبل الذات، وبين التوافق النفسي الذي يحقق الاتزان الشخصي، فتقبل الذات يرتبط ارتباطاً سالباً مع القلق، وارتباطاً موجباً مع التوافق. فقد قام (ليبست Lipsitt) عام 1958 بدراسة عينة من

التلاميذ في الصفوف الرابع والخامس والسادس الابتدائي بلغ عددهم ثلاثمائة، وأعطي كل فرد منهم عدداً من الصفات، وطلب منه أن يحدد ما إذا كانت الصفة تنطبق عليه أم لا؟؛ ثم أعيدت هذه العملية وطلب من الفرد أن يحدد ما إذا كانت الصفة مرغوب فيها شخصياً، أم مرغوب عنها، وبهذه الطريقة أمكن التوصل إلى مقياس لتقبل الذات، أو إلى تحديد مفهوم الذات هل هو إيجابى أم سلبى، ثم طبق على أفراد العينة مقياس القلق، وقد إتضح أن الأطفال ذوى مفهوم الذات السلبى، أو الضعيف كانوا أكثر قلقاً عن الأطفال ذوي مفهوم الذات الإيجابى، أو القوى عند البنين والبنات على السواء، وأن الفرق بين المجموعتين له دلالة إحصائية.

ولم تقتصر العلاقة الموجودة بين مفهوم الذات والقلق على الأطفال، فقد وجد (ميتشل Mitchell) عام 1959 نفس العلاقة السابقة في عينة من طلاب السنة الأولى والثانية بالكلية، فقد حسب معامل الإرتباط بين سلامة مفهوم الذات ودرجات القلق، ووجد أنه كلما زادت إيجابية مفهوم الذات نقص القلق. (عبد الحميد؛ الشيخ، 1978: ص ص 392، 393)

وتلك المرحلة من السعي في اتجاه التوافق النفسي، وتحقيقه وصنع التوازن الشخصي المطلوب، تشبه ما ذكرناه سابقاً عن النفس اللوامة: وهى المستوى المتوسط بين النفس الأمارة بالسوء –والتي تغرق في شهواتها وملذاتها وإشباع حاجاتها بشتى الطرق –، وبين النفس المطمئنة: وهي أعلى مستويات الكمال الإنساني تقريباً؛ حيث يحدث التوازن بين البدن، وبين الروح.

الفروق الفردية:

إذا بحثنا عن طبيعة هذه الفروق بين الأفراد فيما يتعلق بإحدى السمات أو القدرات، واجهتنا أسئلة كثيرة أهمها:

1- هل تعتبر هذه الفروق الفردية فروقاً كمية، أو نوعية؟؛ بمعنى هل الفرق بين شخص وآخر ينحصر في أن أحدهما يمتلك قدرات أو سمات لا تتوفر بالمرة

في الشخص الآخر، أم أن جميع هذه السمات وتلك القدرات متوفرة في كل فرد، وأن الفرق ينحصر في مقدار توفر السمة، أو القدرة في كل فرد؟.

2- هل تنتظم السمات أو القدرات في توزيعها بين مختلف الأشخاص في إطار عام، أم أنها موزعة حسبما اتفق دون أن تجتمع تحت نسق معين؟.

3- ويتصل بالسؤالين السابقين سؤال آخر يتعلق بمدى التفاوت الموجود بين مختلف الشخصيات في أية سمة، أو قدرة معينة؟.

ونلاحظ أننا نصف في حديثنا العادي وبطريقة غير علمية، شخصاً بأنه خال من الذكاء، أو الأمانة، أو أية صفة نفسية، أو خلقية، وإذا بحثنا عن هذا الوصف وجدنا على الفور أنه يتضمن شيئاً من المبالغة والتعميم غير العلمي، فلا يمكن أن نجد شخصاً خالياً تماماً من الذكاء، أو أية قدرة أو سمة أخرى فحتى بين ضعاف العقول على اختلاف درجات ضعف العقل - هناك فروق بين ذكاء الأفراد -؛ بمعنى أن من بينهم من يستطيع أداء بعض الأعمال البسيطة التي لا يتسنى لغيره من نفس الفئة أداءها.

ومعني ذلك أننا لا نستطيع تقسيم البشر بالنسبة لأية سمة نفسية، تقسيماً ثنائياً حاداً إلى من يمتلك، و من لا يمتلك، ولكننا نستطيع أن نقرر أن امتلاك الأفراد لأية سمة، يتمثل بمقياس متصل اتصالاً تاماً؛ بحيث لا نستطيع أن نحدد له بداية أو نهاية تحديداً قاطعاً، كما لا نستطيع أن نقسمه إلى فترات منفصلة، فبين كل درجة وأخرى من امتلاك السمة، ما يمكننا أن نجد عدداً لا حصر له من الدرجات الأخرى لامتلاك نفس السمة.

نخلص من هذا؛ أن الفروق الفردية في فروق كمية، ونحن حين نذهب إلى هذا القول فيما يتعلق بالعوامل النفسية؛ إنما نستمد الأدلة عليه أيضاً بالفروق الفردية في المستوي العضوي، فالقدرات الجسمية كذلك تختلف من فرد لآخر اختلافاً كمياً، وتتفاوت تفاوتاً موزعاً على مقياس متصل، بل وينطبق ذلك أيضاً على أبعاد

أعضاء الجسم وطول القامة والوزن، وقد يسأل سائل: أليس في استطاعتنا تقسيم أفراد المجتمع إلى مبصر وغير مبصر، وأصم وغير أصم.. الخ؛ أي أن التقسيم على حسب الحواس، ولكننا نعود فنقول إنه حتى في حالات فقد الحاسة كما هو الحال في العمى مثلاً، فهناك درجات متفاوتة الكمية في هذه القدرات الحسية، فقدرة الإبصار بين المبصرين متفاوتة في الدرجة، والذي يعيش في مؤسسة المكفوفين يستطيع أن يري فروقاً بين المكفوفين في مدى كف قدرة الإبصار لديهم؛ بحيث نستطيع أن نجد منهم من يتقرب قرباً كافياً من بعض ضعاف البصر في المبصرين، وهكذا في باقي الحواس.

وأيضاً في توزيع القدرات والسمات والاستعدادات الجسمية، أو الذهنية، أو الانفعالية، بل وحتى توزيع الجنس على الأفراد (ذكورة وأنوثة)، يُنظر إليه الآن على أنه يتبع نفس المقياس المتصل الذي سبق إيضاحه. فلكل فرد منا (ذكر أو أنثي)، درجة ذكورة، ودرجة أنوثة تتمثل في اتجاه قدراته، وسلوكه، وميوله، واتجاهاته، ونموذج معيشته - ما يفضله وما يكرهه -، وما اعتاد عليه من سلوك في المواقف المختلفة، ولهذا أُعِدَّت اختبارات سيكولوجية تقيس ثمة الذكورة/ الأنوثة في الفرد؛ بحيث نستطيع أن نحدد لكل شخص درجة معينة بين طرفين متباعدين، يحددهما الاختبار يمثلان أقصى درجة من الذكورة، وأقصى درجة من الأنوثة. (خيري، د.ت)

وقد سبق القرآن الكريم العلم والعلماء في تبيين تلك الفروق الفردية بين الناس في استعدادهم وقدرتهم في كثير من الآيات يقول الله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾. [الأنعام: 165]

تبين لنا الآية الكريمة؛ أن من وظائف الإنسان في الدنيا تعمير الأرض، وأن هناك درجات بين الناس فيما أتاهم الله من فضله، كالمال، والأخلاق، وحسن الشكل، والألوان، والشخصية ودرجة اتزانها، إلى آخره من النعم.

و الحكمة في ذلك.. ليختبرهم في الذي أنعم به عليهم وامتحنهم به، ليختبر الغني في غناه، ويسأله عن شكره، والفقير في فقره، ويسأله عن صبره. ابن كثير (د.ت: ص ص 641، 642)

وهذا تأكيد آخر على الفروق الفردية بين الناس، فتقوى الله في الثروة، والجاه، والصحة، والجمال، وشتى الصفات، يتطلب نفس بشرية استطاعت تحقيق التوازن الشخصي بين متطلبات الحياة الدنيا، وبين متطلبات الحياة الآخرة، وهذه قدرة ليست متوفرة عند كل الناس فهي مختلفة، بل تختلف في الشخص نفسه، فقد يضعف في بعض الأحيان ويغره رزقه فيختل التوازن، والرجوع إلى التوازن السليم يختلف أيضاً من شخص لآخر، فالإختلافات كثيرة بين الناس في الاستعدادات، والقدرة على تحقيق التوازن، والوصول إلى ما ينجيه من الوقوع في الخطأ؛ ومن ثم عذاب الله عز وجل في نار جهنم.

ويقول تعالي أيضاً: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾. [الزخرف: 32]

ويقول: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾. [الروم: 22]

ويقول: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ . [الإسراء: 21]

ويقول: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾. [فاطر: آية 28]

وتتضح في هذه الآيات حكمة المولى عز وجل من الفروق بين الناس على حسب استعداداتهم، فكل فرد منّا ميّسر لما خُلِقَ له، ليكون الجميع في خدمة الجميع، فالله سبحانه وتعالى جعل البشر أسباباً للرزق، هناك الغنى وهو سبب رزق

الأجير الذي يعمل لديه، وفي نفس الوقت لن تستقيم حياة الغنى دون هذا الأجير الذي يقوم بأعمال ليس في استطاعة الغنى أداءها، وهكذا!.

النمو والشخصية:

مما سبق يتبين لنا الاختلاف بين الناس على الرغم من وجود صفات يشترك فيها الجميع كخلق الإنسان من طين مثلاً، وقوانين عامة تنطبق على الجميع، لكننا لا نجد اثنين من البشر متطابقين تمام التطابق، وأنه مهما اختلفت الصفة أو الخاصية التي ندرسها، فإن بعض الأطفال يمتلكون منها قدراً أكبر من معيار الجماعة في هذا المستوي العمري، وأن بعض الأطفال يمتلكون منها قدراً أقل. هذا بالإضافة إلى أن درجة الاختلاف والتغاير كثيراً ما تزداد مع التقدم في العمر.

ويتضمن النمو وجهين من وجوه التغير، فيقال إن الطفل (يكبر)، والطفل (ينمو)، فهو يكبر في الحجم (كماً)، وينمو بنيوياً ووظيفياً (كيفاً).

وثمة أمثلة توضيحية لعملية النضج، أو النمو هذه التي تصاحب الكبر في الحجم، فالجهاز الهضمى على سبيل المثال، لا يكبر فقط في الحجم، ولكنه يتغير أيضاً بنيوياً، ويتيح ذلك هضم الأطعمة الأكثر تعقيداً؛ مما يجعل الطفل ينوع في طعامه، الأمر الذي يضفى عليه صحة بدنية طيبة، ويسهم كذلك في نموه الاجتماعي.

وقد يتساءل البعض: كيف يستطيع الرضيع الذي لا حول له، والذي تعوزه المهارة أن يصل في النهاية إلى مستوى من النضج يمكّنه من مواجهة أعباء الحياة؟.

والإجابة بأنه يستطيع ذلك عن طريق سلسلة من خطوات التقدم المنظمة، وهو ينمو نمواً داخلياً كلياً، فمصدر نمو الكائن الحى هو ذاته، وهو ينمو نمواً منتظماً ومستمراً، ذلك أنه يحافظ دائماً على سماته الرئيسية سواء أكانت هذه السمات جسمية، أم عقلية، أم نفسية، وليس معنى قولنا هذا أن نترك الطفل وشأنه، ذلك أن الإهمال المفرط، أو سوء التوجيه يمكن أن يعوقا نمو الفرد.

ونتيجة لهذا النمو المنتظم، ليس من الصعب أن نرسم شكلاً توضيحياً للخطوات التي يحدث بها النمو، أو نصف الأنماط التي يتبعها، ذلك أن الطفل لا يستطيع أن يمشى مثلاً دون أن يمر بمرحلة الوقوف، ولا يستطيع أن يتكلم دون أن يمر بمرحلة الثغاء أو المناغاة بمقاطع من اللغة. (عبد الحميد، 1977)

خلاصة القول؛ إن النمو النفسي للفرد يتم في شكل منظم ومستمر، تشكله بيئته المحيطة بدءاً من الوالدين، ومروراً بمراحل التعليم المختلفة، لتتبلور في النهاية شخصيته، والتي تكون انعكاساً لما اكتسبه الفرد خلال مراحل نموه المختلفة.

النمو في القرآن الكريم:

لقد عنى القرآن الكريم بالنمو ليس فقط منذ الميلاد، بل من مرحلة ما قبل الميلاد، وهذا ما فعله علم النفس فيما بعد، فهو لا يعنى بدراسة مراحل نمو الطفل منذ ميلاده فقط، بل تمتد العناية أيضاً بدراسة مراحل نموه قبل الميلاد، وهو لا يزال جنيناً في بطن أمه، والعوامل المختلفة الوراثية والبيئية التي يمكن أن تؤثر في تكوين الجنين ونموه.

أما عن النمو بعد الميلاد، فمن المعروف لنا جميعاً أن الطفل يولد ضعيفاً في حاجة إلى الرعاية، والعناية به حتى يكبر، ويستمر نمو الوليد بسرعة كبيرة في الأيام الأولى من حياته، ولكن تأخذ سرعة النمو في البطء تدريجياً مع تقدم العمر، وتبدو الحياة هادئة مستقرة قبل فترة المراهقة، وما أن تبدأ مرحلة المراهقة حتى تتوالى على الطفل تغيرات قوية وسريعة عضوية وتشريحية ونفسية، ثم تهدأ سرعة التغيرات في نهاية مرحلة المراهقة، وبداية مرحلة الرشد التي يكتمل فيها نموه، وتعود الحياة مرة أخرى إلى الهدوء والاستقرار، ومع أن الراشد يكون قد بلغ تمام النضج في نموه الجسمي، ونمو قدراته العقلية، إلا أنه يستمر في تعلم خبرات جديدة، وفى اكتساب المعرفة، والخبرة، والحكمة حتى يصل إلى مرحلة الشيخوخة، فتأخذ قوته الجسمية في الاضمحلال، فتقل قدراته العقلية تدريجياً، ويظهر على بعض الشيوخ في حوالي

سن السبعين نوع من الاضطراب السلوكي والعقلي يتميز بضعف الذاكرة، وعدم القدرة على التركيز الذهني، والخلط بين الماضي والحاضر، والحقيقة والخيال، والعجز عن إصدار الأحكام العقلية، كما يفقدون السيطرة على انفعالاتهم واندفاعاتهم فيبدو سلوكهم في الأغلب طفولياً، ويطلق على هذه الحالة من الاضطراب السلوكي العقلي اسم (ذهان الشيخوخة). (نجاتي (1982)

وتبرز هنا أهمية التوازن النفسي، والذي يتوقف على قدرة الفرد على التأقلم مع الشيخوخة، وما تحدثه هذه المرحلة من تغيرات عليه أن يواجهها، فالتوازن النفسي في هذه المرحلة لا يتمتع به جميع الناس، مما يؤكد دور الفروق الفردية بين الناس في عملية التوازن النفسي للإنسان، وقدرته على التكيف، وقد تحدث المولي عز وجل في قرآنه العظيم عن مراحل نمو الإنسان من قبل الميلاد، إلى ما بعد الميلاد، مروراً بمراحل الطفولة والرشد، ونهاية بالشيخوخة في إيجاز بديع وبليغ قائلاً:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾. [المؤمنون: الآيات 12-14)

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾. [الحج: 5]

وقال: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾. [الزمر: آية 6]

وقال: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾. [المرسلات: 21-23]

مراحل ما بعد الميلاد:

يقول المولى عز وجل عن هذه المراحل:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾. [غافر: 67]

وقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾. [الروم: 54]

وقال: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ . [النحل: 70]

وقال: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾. [التين: الآيات 4-6]

وقال: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾. [يس: 68]

وقد أكد القرآن الكريم على أن الطفل يولد بالحواس التي تمكنه فيما بعد، من إدراك العالم من حوله، وتساعده على تدبر أموره فقال:

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ۙ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾. [النحل: 78]

وفيها ذكر السمع قبل البصر للأهمية، كما ذكرنا سابقاً في حديثنا عن موضوع الحواس في القرآن الكريم.

سمات الشخصية السوية القابلة للتواصل الإنساني:

1- الموضوعية؛ وتعنى قدرة الفرد على السلوك والتصرف، وإصدار الأحكام غير المتحيزة لعنصر من العناصر، أو رأى أو سياسة، أو العدالة في الحكم على الأشياء والتحدث بلسان مصالح المستحقين، وليس المصالح الخاصة.

2- الصدق؛ ويعنى أن يعكس الحديث حقيقة مشاعر المتحدث، أفكاره، وآرائه. كما يعنى أن تتطابق أحوال المتحدث مع أفعاله وتصرفاته.

3- الوضوح؛ ويعنى القدرة على التعبير عن الأفكار بوضوح، من خلال اللغة البسيطة، والمادة المنظمة والمسلسلة تسلسلاً منطقياً.

4- الدقة؛ وتعنى التأكد من أن الكلمات التي يستخدمها المتحدث؛ تؤدى المعنى المطلوب منها بعناية.

5- الاتزان الانفعالى؛ ويقصد به أن يظهر الفرد انفعاله بالقدر الذي يتناسب مع الموقف، وأن يكون متحكماً في انفعالاته.

6- المظهر؛ ويعنى أن يعكس مظهر الإنسان، مدى رؤيته لنفسه. كما يحدد الطريقة التي ينظر بها الآخرون إليه، ويشكلون أحكامهم عنه. ويضم المظهر العام: النظافة والأناقة الشخصية، والملبس والمظهر المناسب للحالة أو الموقف، وكذلك الصحة النفسية والبدنية. سالم (2009: ص ص 80، 81)

وقد أشار المؤلف قبل ذلك في كتابه "أخلاقيات العمل بين الدين والمجتمع"، ضمن الإشارة إلى خطوات إنقاذ المجتمعات الأخلاقية؛ إلى ضرورة عمل كشف نفسي على العاملين الجدد، يتم تضمينه إلى الكشف الطبي العام، الذي تجريه المنظمات المختلفة عند التعيين، بل ويجب أن يكون دورياً كل فترة لقياس تكيف العاملين مع نظام العمل، أيضاً ضرورة الكشف النفسي على القيادات الإدارية قبيل توليهم مناصبهم الإدارية؛ حيث لا يمكن إغفال دور القيادات الإدارية في تشكيل الحالة النفسية للموارد البشرية التي تمتلكها المنظمة. على(2011)

والسؤال الآن : هل يمكن للمديرين أن يغيروا في شخصية العاملين ؟.

لا شك أن مهارات المدير يجب وأن تشتمل على جزء كبير من القدرة على التأثير وإحداث التغيير، ولذلك فإن التحدي الأكبر فيها يظهر عندما يبدو التغيير

شبه مستحيل، وعندما تتحدث عن التغيير من منطلق الشعارات الرنانة والعبارات الحماسية المفتعلة، فالواقع أن معظم الأشخاص سوف يستنكرون الأمر على نحو تام، وإذا لم يكن لديهم أمل؛ أي إذا لم يكن لديهم اعتقاد في النجاح وتوقعه بالمعنى الاصطلاحي للكلمة، فلن يتمكنوا من حشد قواهم الاستثنائية من طاقة وتماسك وصبر ومثابرة؛ وهى أمور مطلوبة لإحداث التغيير.

فالقادة في حاجة إلى إثراء معتقداتهم بأفعالهم وتصرفاتهم، فإذا كانت البداية في مجرد فكرة نؤمن بها ثم نروج لها، فإن ما يضمن استمرارها وتفعيلها هو تجسيدنا إياها على أرض الواقع، وعندما نبحث في فلسفة التغيير، فسنكتشف ما يمكن لنا أن نسميه بـ (عناصر الإيمان الأربعة)؛ وهى:

1- يجب أن يؤمن القادة بأنفسهم وبقدرتهم على إحداث التغيير.
2- يجب أن يؤمن القادة أن الأفراد الذين يعملون معهم قادرون على التغيير.
3- يجب أن يحث القادة الأفراد لديهم بأفعالهم وتصرفاتهم: وذلك بتجسيدهم للمعتقدات والقيم أمامهم.
4- يجب أن يبعث القادة في نفوس أفرادهم الإيمان بأتفسهم وقدراتهم: ويمثل هذا الأمر بالعديد من الطرق، التحدى الأصعب بالنسبة للجميع، ولكن أفضل الطرق للوصول إلى ذلك في (النمذجة) أو محاكاة الأدوار، قبل أن يؤمن الأفراد بأنفسهم عليهم محاكاة أدوارغيرهم من الأشخاص، الذين تغلبوا على العقبات نفسها ونجحوا في تحقيق التغيير نفسه.(دويتشمان، مارس 2011)

والحقيقة أنه من الصعب أن تصف شخصاً بأي درجة من الموضوعية، ولو نظرنا خلف القناع تصبح لدينا القدرة على اكتشاف (الميكانزم) الذي يخلق هذه الشخصية؛ هذا الميكانزم هو ببساطة: ميل الشخص إلى التصرف بطريقة معينة في ظل موقف معين، وهذا الميل يتكون من أجزاء ثلاثة يمكن أن نشير إليها بأنها: المعتقدات، الاتجاهات، والقيم. وقد اختلف الكتاب اختلافاً بيّناً حول معنى تلك الألفاظ - ولهم العذر في ذلك -؛ حيث أن الموضوع معقد بنفس درجة تعقد

الطبيعة البشرية، إلا أن هذه الصعوبة يجب أن لا تمنعنا من مواصلة البحث، لأن فهم هذا الميكانزم، هو المفتاح الذي يفتح باباً يتيح لنا فهم وإدراك السلوك، سواء أكان ذلك بالنسبة لسلوك الفرد، أو الجماعة، أو سلوك الجماعات داخل التنظيم.

وبوجه عامٍ يتعامل القادة والمديرون في المجال الإداري، مع زملاء ومرؤوسين وأحياناً رؤساء وعمال وجمهور، وهو ما يقتضى"فهم أنماطهم ودراسة أسلوب التعامل معهم وفقاً لسمات وخصائص كل منهم، وإذا كانت دراسة هذا الموضوع (أنماط الشخصية وخصائصها) يعد أمراً هاماً للعامة في المجتمع؛ فإنه يصبح أكثر أهمية للقادة والمديرين في المجال الإداري (شفيق، 2002: ص111)، وللمنظمات في اختيارها للقادة والعاملين الذين يحققون مستوى عمل مرضى، وذلك من خلال اختبارات الاختيار القائمة على سمات الشخصية؛ وفيما يلي عرض لبعض أنماط الشخصية:

1- الشخصية الاجتنابية Avoidant: شخص يميل لاجتناب الآخرين خوفاً من رفضهم إياه وخشية منهم، وهو يفضل دائماً العزلة والانسحاب من المواقف.
وعلى مستوى العمل، ينصح بعدم توليه وظائف تحتم عليه التعامل المستمر مع عدد كبير من الأفراد.

2- **الشخصية الاعتمادية Dependent**: دائم الاعتماد على الآخرين ولا يستطيع تحمل المسئولية، أو اتخاذ قرار.
وعلى مستوى العمل، ينصح بعدم توليه أية مناصب قيادية.

3- **الشخصية النظامية (الوسواسة) Compulsive**: مبالغ في دقته وروتيني في عمله، وهو غير مرن ويصعب تغيير رأيه واتجاهاته، فهو عنيد يصعب إقناعه، كما أنه يتردد في اتخاذ القرار.
وعلى مستوى العمل، يصلح في المجال التنفيذي الدقيق، وهو يحافظ على مستوى النظام والأمن ودقة الأداء، وهو ملتزم جداً، ولكنه لا يصلح في مجالات التخطيط والإبداع والاختراع.

4- **الشخصية سلبية العدوان Passive Aggressive:** يميل للتسويف والتأجيل، لا يعترض ولكن يهرب بالتأجيل، كسول في العمل، كثير الشكوى ويستشعر بظلم وهمى، يسعى لتحقيق عدم الاستقرار لمن حوله.
وعلى مستوى العمل، لا يعتمد عليه ولا يركن إليه.

5- **الشخصية المؤذية للذات (الماسوكية) Self Defeating:** يحب التضحية دائماً، يعمل الخير للجميع، يؤدى الخدمات على حساب نفسه؛ رغم أنه غير مطلوب منه ذلك.
على مستوى العمل، يمكن أن يستغل تفضيله للصالح العام وحبه لخير الآخرين، وهو يصلح في المجالات الإنسانية، وعلى العكس هناك الشخصية السادية Sadistic، والتي تتلذذ بتعذيب وإيلام الآخرين.

6- الشخصية الاضطهادية Paranoia: لا يثق في الآخرين، شكاك، غيور جداً، لا يحب الصداقات ويسعى لعزل نفسه وأسرته عن الآخرين، يعتقد بخيانة كثير من الناس له، لا ينجح في التعامل مع الناس.
على مستوى العمل، لا ينجح في التعاون مع الآخرين والعمل ضمن فريق، وهو يؤتمن على الأسرار ولا يبوح بها أبداً من فرط شكه فيمن عداه.

7- **الشخصية فصامية النمط Schizotypal:** غريب التفكير، يعتقد أن له قدرات خاصة وخارقة، يؤمن بالجن والخرافات، وهو أيضاً واسع الخيال، شخصية مرضية ويحتاج إلى علاج.
على مستوى العمل، لا يعتمد عليه إلا فيما يتعلق بذاته ويجب السعي لعلاجه.

8- **الشخصية الانطوائية (شبه الفصامية) Schizoid:** غير اجتماعي لا يحب الاختلاط بالناس، خجول جداً، قريب من سمات الشخصية الاجتنابية مع الفارق، في أن بعده عن الناس ليس خشية منهم؛ ولكن لأنه لا يريدهم.
وعلى مستوى العمل، ينصح بعدم توليه وظائف تستدعى تعامله الدائم مع عدد كبير من الأفراد.

9- الشخصية الهستيرية Histrionic: في أكثر وضوحاً في النساء، وهى شخصية تميل إلى حب الظهور وجذب الانتباه، تتصف بسرعة الانفعال وتقلب المزاج والعاطفة القوية المتغيرة.
على مستوى العمل، تصلح في مجالات العلاقات العامة، وفى التمثيل؛ حيث أنها مغمورة بالخطابة والتعبير وتحب المديح والشهرة.

10- **الشخصية النرجسية Narcissistic:** محب للذات، أناني، يسعى لتحقيق أهدافه الخاصة، يحب الشعور بالأهمية، يهدف لتولى أعلى المناصب ليتحكم في الآخرين.
على مستوى العمل، لا يؤتمن على سر (وهو قريب من الشخصية الهستيرية).

11- **الشخصية البينية (الاندفاعية) Borderline:** مندفع جداً، يعمل قبل التفكير وهو كثير الندم على أفعاله، يسبب توتراً وشقاقاً ومنازعات مستمرة، لا يملك نفسه عند الغضب.
على مستوى العمل، يجب متابعته الدائمة وتحجيم أنشطته الاندفاعية وكبح جماحه.

12- **الشخصية الإجرامية (السيكوباتية) Anti – Social:** ضعيف لا يتحمل المسئولية، سلوكه ضد المجتمع والأفراد، لا يتعلم من أخطائه، وهو دائم التكرار لها، لا يستجيب للثواب والعقاب، يعادى أجهزة النظام مثل الشرطة، والرؤساء في العمل، يميل إلى الإجرام، متملق، وصولي، نفعي، مادي، يستغل الجميع لتحقيق مصلحته الذاتية.
على مستوى العمل، يحتاج إلى متابعة مستمرة، وسيطرة وتهديد بالعقاب ومباشرة مع عدم التساهل معه. (شفيق، 2005)، وإن كنا نفضل فصله، فصاحب هذه الشخصية قد يصنع فوضى في المنظمة يصعب السيطرة عليها.